قراه الجميلة المنثورة على سفوح الجبال وفي منحنيات الأودية من علو الألفين من الأمتار حتى شاطىء البحر. أمّا مدن لبنان الساحليّة فلا تمثّل لبنان إلّا كما يمثّل بحره الينابيع البلورية المنبجسة من صدور جباله. ففي تلك القرى تتجلّى لك الفطرة اللبنانيّة في أصدق معانيها ومجاليها.

لعلّ أوّل ما يسترعي انتباهك وأنت تتجوّل في القرى اللبنانية أن عينك لا تقع، إلاّ في النادر، على رجال ونساء وأطفال ركبتهم العاهات الجسدية والعقليّة. فالقامة معتدلة، لا هي بالسمينة المتهدّلة ولا هي بالعجفاء المتيبسة. والوجه إن لم يكن بارع الجمال كان بعيداً عن البشاعة والدمامة. أمّا رقعته ففي الغالب حنطيّة سمراء. وأمّا عينه فعسليّة أو سوداء يلتمع فيها النشاط والذكاء مع الطموح والاعتزاز بالنفس حتى الكبرياء. ويمشي اللبناني مشية الواثق من نفسه ومن حقّه في الأرض وفي الحياة. فلا وجل ولا ذلّ ولا انسحاق.

وتدخل البيت اللبناني القروي، سواء أقصراً كان أم كوخاً، فتعجب بما فيه من نظافة وترتيب، وتدرك في الحال أن المرأة اللبنانيّة سيّدة في بيتها، وأن بيتها إنّما يبوح بما فطرت عليه صاحبته من حبّ التنظيم والتدبير واللباقة